قرأت العدد الماضي من «الآداب»

الأبحاث

بقلم امير اسكندر

***

ضم عدد الاداب السابق مجموعة من الابحاث النظرية والتطبيقية، بلغ بعضها مستوى عالياً من العمق والجدية وسلامة المنهج، ولم يستطع بعضها الاخر ان يصل الى تلك الدرجة، بل لعله لا يرتفع الى المستوى المأمول في دراسة تنشر في مجلة لها تقديرها واحترامها وسط جمهور المثقفين العرب عامة.

وقبل أن ندخل الى المناقشة التفصيلية لتلك الابحاث نحب ان نتوقف لحظة عند المقال الذي يحتل صدر المجلة ويقوم بمثابة الافتتاحية الطيبة لعدد دسم.

المقال يحمل عنوان « المحكمة » ، وهو تمهيد بقلم الاستاذ العفيف الاخضر يقدم به ترجمته لمقال برتراند رسل عن المحاكمة المزمع عقدها لمجرمي الحرب العدوانية على شعب فيتنام: مكنمارا، دين راسك، ولندن جنسون. وهو نقد مرير لاذع للوضع السلبي الذي يقف فيه المثقفون في بلادنا العربية ازاء الاحداث التي تعصف بحرية الضمير وكرامة الانسان لا في العالم البعيد فحسب، بل وفي داخل وطننا العربي نفسه. ماذا صنع مثقفونا العرب بوصفهم الطليعة الواعية لشعبنا، والحارسة لقيمه الانسانية النبيلة ازاء اعمال القمع والغدر والتعذيب التي تجري على قدم وساق في انحاء مختلفة من العالم؟ انني اتحدث عمن يمثلون « ضمير العصر » .. عمن يمثلون القلب الخافق بالامل في صدر الوطن العربي الذي تمزقه الالام .. أليس جارحاً لنا جميعاً ان تتألف في باريس ولندن وغيرها من العواصم، اللجان والمظاهرات والتجمعات، لتدافع عن اخوة لنا يتساقطون تحت سياط التعذيب، أو يهيمون على وجوههم في الآفاق البعيدة والمنافي الغريبة؟ اننا، نحن اصحاب القضية، ينبغي أن نكون أول من يهب للدفاع عنها، والدعاية لها وسط الرأي العام العالمي. من هنا، من أعماق وطننا العربي نفسه يجب ان تكون قيادة الرأي العام العالمي، على الاقل في الامور التي تخصنا وتعيش معنا، وتصدم وجداننا في كل لحظة. انني اتساءل مع الاخ العفيف الاخضر: أين طه حسين، وميخائيل نعيمة، ونجيب محفوظ، وتوفيق الحكيم على سبيل المثال؟... لماذا لا نقرأ اسماءهم الكبيرة على بيانات تشجب الحرب العدوانية في فيتنام او تدين الارهاب في بعض اجزاء وطننا العربي نفسه؟... لماذا لا يرتفعون الى مستوى الدور الكبير الذي تقوم به بعض الزعامات والقيادات في الدول العربية المتحررة؟.. لا سبيل الى القول بأن العمل الاساسي لهؤلاء الكتاب الكبار هو ادبهم وفنهم وحده. لم يعد الكاتب في عصرنا مجرد فنان صناعته ابداع الفن وحده. لقد اصبح اكثر من ذلك، فناناً ومفكراً ومواطناً عظيماً، صناعته ابداع الحضارة نفسها! ان محكمة « رسل » صورة حية لما يمكن أن يلعبه المفكر والفنان من دور كبير في حماية قيم الانسان التي اكتسبها بالروح والدم. كم كان المرء يود، بل يحلم، بأن يكون ضمن هيئة المحكمة كاتب عربي كبير او فنان او مفكر يمثل وجدان شعب عرف بالتجربة الحية المريرة معنى العدوان، وعظمة النضال في سبيل الحرية!

***

واذا كان ينبغي ان اضرب مثلاً للابحاث التي تميزت بالعمق والجدية وسلامة المنهج، لقلت انه البحث الذي قدمه الاستاذ « رئيف خوري » عن كتاب « كبرياء التاريخ في مأزق » للاستاذ « عبد الله القصيمي » . في هذا البحث يتتبع الاستاذ خوري افكار الكتاب الذي يتعرض له بالدراسة، فكرة وراء فكرة، حتى يقدم لنا صورة نقدية مكتملة لا للكتاب فقط، بل لما وراءه ايضاً! ولقد كان الاستاذ خوري من الحكمة بحيث التزم بنصوص الكتاب التزاماً كاملاً، فهو لم يحكم حكماً غير مدعم بقول من اقوال المؤلف، ولم يناقش فكرة لم ترد صراحة بين السطور. والحق أن النصوص التي أوردها في مقاله تقول الكثير! وكلمة الى جانب كلمة تعطيك رسماً واضحاً لتفكير واحد من مثقفينا العرب في هذه المرحلة. كيف يرى الانسان؟ ما معنى الحرية عنده؟ كيف يتحدث عن الطغيان؟ ما هي رؤيته لبعض قضايانا الاساسية مثل قضية فلسطين وكيف يرى أبعادها في الشرق والغرب؟.. ومن خلال هذا كله تتجمع الخيوط وتتشابك لتكتمل صورة مدهشة في بشاعتها بحق. وحسبنا فعل الاستاذ رئيف خوري بالتعرض لهذا الكتاب، حتى يكشف عن كل خباياه، ويفضح اعماقه المسمومة، لا بالاحكام الجاهزة او الشعارات البراقة، بل بالدراسة المستأنية وبالجهد النقدي الصادق. فاذا كان ثمة ادانة لهذه الافكار، فهي نتيجة لضوء يلقيه بقوة على جذورها واصولها. ولا يسعك في النهاية الا ان توافقه على النتائج التي توصل اليها، وتؤيده في الاحكام التي اصدرها على هذه الافكار .. ولا تملك الا ان تقول معه: « ليطمئن الاستاذ القصيمي الى أن كبرياء التاريخ ليست في مأزق. ولكن القصيمي نفسه يدور في الطريق المؤدي الى لا مكان — اللهم الا ذلك السرداب المغلق. » !..

***

ولسوء الحظ، لم أقرأ رواية الاستاذ « غسان كنفاني » التي تعرض لها الاستاذ عبد الرحمن علي بالدراسة في مقاله « ما تبقى لكم » ، وشرط الانسان المعذب » . ومن ثم لا استطيع الحكم على دراسته تلك. ولكن هذا لا يعفيني من تأمل المقدمة التي استهل بها كلمته عن رواية « غسان كنفاني » . أنه يقول: « قبل الدخول في عالم الرواية نشير الى وضع ادبي يكاد لتكراره يطعن في جدية التأليف واتزان الرؤية، انه شيء يتعلق بصميم مشكلاتنا المصيرية التي نستطيع دائماً أن نوليها صراخنا وهتافنا، لكننا، لازمة آخذة برقابنا، لا نتمكن أن ننظم علاقتنا التعبيرية على أساس من التوازن بين الكلمات في سوية منطقية وقتية هادئة بلا جهارة مقرفة .. فذلك دليل على اننا ندرك امورنا الفنية كما لو كانت امتداداً لتعليقات الصحيفة السياسية، ومن هنا تجب الاشارة الى هذا الوضع المحزن الذي يلف اعمالنا التأليفية سواء في القصة او الرواية

أو الشعر ... » . وواضح أن الاستاذ عبد الرحمن علي في بداية هذا الكلام يشجب عدم اهتمام كتابنا بمشكلاتنا المصيرية ، ولكن عندما دخل في تفسير هذه « الازمة » لم أستطع أن افهم ماذا يريد ان يقول . فلا أدري ما معنى أن « ننظم علاقاتنا التعبيرية على أساس من التوازن بين الكلمات في سوية منطقية دقيقة هادئة بلا جهارة مفرقة » ! ماذا تعطيك هذه العبارة ؟ هل تفسر لك شيئا ؟ أم هي نفسها بحاجة الى تفسير اذ كانت من الكلام المفهوم أصلا ؟ ألا نحتاج الى قليل من الوضوح على الاقل ، ولا أقول من « المنهج العلمي » اذا حاولنا التعرض لمثل هذه القضية الكبيرة (اذا صحت) : لماذا لا يتناول كتابنا مشكلاتنا المصيرية ؟. ومع ذلك فعندما قرأت مقال الاستاذ عبد الرحمن علي الى اخره ، لم أجد فيه دراسة حقيقية للرواية . وجدت تلخيصا سريعا لها فحسب . ومقتطفات كثيرة .. من العمل الروائي نفسه لا يتبعه بالتحليل الحقيقي لهذا « العالم الساحر » الذي ما زلنا ـ كما يقول نتوق الى فض مغاليقه وكسر حدوده !

***

ويأتي بعد ذلك الجزء الثاني من دراسة الاستاذ خليل احمد خليل عن « ابن خلدون : واقع المثقف العربي في القرن الرابع عشر . » . والحق أن هذا الجزء من دراسته لا ينبغي تناوله وحده دون تناول الجزء السابق منه الذي نشرته الاداب في عددها الاسبق . ومع ذلك فلا يمكن للمرء أن يعبر به دون ان يحيي الروح العلمية التي تناول من خلالها الاستاذ خليل أحمد خليل موضوعه . وليس صحيحا أن ابن خلدون قد قتل بحثا كما يقال أحيانا . فالحقيقة ان كثيرا من تراثنا العربي القديم ومن بينه « مقدمة ابن خلدون » الشهيرة لم يزل بحاجة الى مزيد من البحث والتقصي . ولكن المهم هو منهج التناول . وهذا وحده هو الذي يتوقف عليه حكمنا على نتاج هذه الدراسات : هل هي مجرد تراكم كمي في عدد الدراسات أم هي اضافات حقيقية تزيد من علمنا بهذا التراث العظيم وتثري وجداننا العلمي به . وليس مثل « مقدمة ابن خلدون » موضوعا يحتاج الى اضواء المنهج العلمي الكاشف . ولا تعني هذه الكلمات أن كل الدراسات التي قدمت من قبل حولها دراسات قاصرة أو تفتقر الى النظرة العلمية في معظمها . ولعل الدراسات العديدة التي قدمها أتباع « المدرسة الاجتماعية الفرنسية » في مصر : الدكتور علي عبد الواحد وافي ، والدكتور عبد العزيز عزت ، قد أفاضت في اثبات أن ابن خلدون هو مؤسس علم الاجتماع الحقيقي .. ومثلها الدراسات القيمة التي قدمها شيخ المؤرخين العرب الاستاذ ساطع الحصري . والمقالات التي قدمها الدكتور لويس عوض ، والدراسة ذات الطابع الادبي التي قدمها الاستاذ رشدي صالح . وغيرها وغيرها من الدراسات ، ولعل الدراسة الجديدة التي قدمها الاستاذ خليل أحمد خليل أن تكون مساهمة قيمة في هذا الطريق . وتأتي قيمتها من زاويتين : الاولى : محاولة الربط بين فكر ابن خلدون والاطار الاجتماعي والسياسي لعصره . من حيث التأثر والتأثير احدهما في الاخر . والثانية عدم المبالغة ـ رغم التقدير الكبير ـ في استخلاص ـ أو على الاصح في فرض ـ نتائج لا تتيحها أفكاره الواردة في مؤلفاته على نحو ما يفعل بعض الباحثين عندنا مثل الدكتور عبد العزيز عزت . وليس أقل من هاتين الزاويتين الحاح الاستاذ خليل في دراسته على ان الربط بين تطورنا السياسي والاقتصادي الراهن وتطورنا العلمي . وعلى الاحساس القوي من جانب اخر بأن تطورنا العلمي « رهين بتطورنا الاقتصادي والسياسي » ذلك لان العلم سوف يؤثر كما قال بحق على تطورنا العام .

***

اما الاستاذ سعد الله ونوس فيقدم دراسة بعنوان « ثورة بريتون ». ولقد كنت قرأت للاستاذ ونوس من قبل دراسة عن « جان جينيه » على صفحات الاداب بمناسبة عرض مسرحيته « الحواجز » في باريس . والحق أنها كانت دراسة طيبة . ولا تقل عنها هذه الدراسة التي كتبها بمناسبة وفاة الشاعر والمفكر السيريالي الكبير « اندريه بريتون » .. ولقد تناول في دراسته هذه « بريتون » من خلال مفهوماته عن السيريالية ، ومن خلال وجهات نظر رفاقه في تلك الدعوة ، فيليب سوبول ، وآراجون ، وماكس آرنست وغيرهم ...

واذا كان لي من ملاحظات على هذه الدراسة فهي ملاحظتان أساسيتان : أولاهما ان الاستاذ ونوس لم يبرز لنا أن « اندريه بريتون » عندما كان يدعو الى الثورة على الواقع الخارجي بالانصراف عنه الى عالمنا الباطني ، لم يكن يرمي من ذلك الى الانصراف عن الواقع الخارجي نهائيا وبلا رجعة ، بل كان يقصد فحسب « الانصراف المؤقت » حتى نتمكن من احداث ذلك التوازن الذي كان ينشده بين الجوانب الشعورية والجوانب اللاشعورية في نفوسنا . ونأمل هو « بريتون » نفسه في بيانه السيريالي « قصارى ما نصبو اليه هو الاتجاه الى ابراز الواقع الباطني والواقع الخارجي كعنصرين يمضيان نحو اتحاد .. هذا الاتحاد النهائي هو الهدف الاخير للسيريالية ، ذلك أنه لما كان الواقع الباطني والواقع الخارجي في مجتمعنا الحاضر متناقضين فقد جعلنا همنا مواجهة هذين الواقعين كلا بالاخر كلما حانت فرصة لذلك ، ورفضنا سيطرة احدهما على الاخر ، ولكن ليس معنى ذلك ان نعمل فيهما في وقت واحد ، فذلك من شأنه ان يوهم بانهما أقل انفصالا وتباعدا مما هما في الحقيقة .. انما نحن نعمل في الواحد تلو الاخر ... ذلك اننا نؤمن بامتزاجهما في ما فوق الواقع ان صح هذا التعبير .. » .

وثانيتهما : أن الاستاذ ونوس لم يحاول أن يفسر لنا الاطار الحضاري بعناصره الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي ادت الى ظهور دعوة

مؤلفات سيمون دو بوفوار

ق.ل

- المثقفون ـ رواية جزآن — ترجمة جورج طرابيشي — ١٤٠٠
- انا وسارتر والحياة — ترجمة عايدة مطرجي ادريس — ٤٠٠
- مغامرة الانسان — ترجمة جورج طرابيشي — ١٥٠
- الوجودية وحكمة الشعوب — ترجمة جورج طرابيشي — ١٧٥
- نحو اخلاق وجودية — ترجمة جورج طرابيشي — ٢٢٥
- بريجيت باردو وآفة لوليتا — ١٥٠
- قوة الاشياء ـ جزآن — ترجمة عايدة مطرجي ادريس — ١١٠٠

منشورات دار الاداب

بريتون . صحيح أن دراسة الاستاذ ونوس ليست في صميمها دراسة عن السيريالية بل عن مفهوم بريتون عن السيريالية ، ولكن كم كان يكون اكثر اكتمالا واكثر اقترابا من الحقيقة لو فعل . ذلك لان هذه الصورة كانت ستتيح للقارىء ان يصدر حكما اعمق على بريتون لا بوصفه مجرد ساخط على الواقع الخارجي وهارب منه الى أعماق اللاشعور المظلمة ، بل بوصفه ثائرا على ذلك الواقع حتى وأن خابت ثورته وسقطت بحكم منطقها الداخلي نفسه !

***

والمقال الذي قدمه الاستاذ سامي الموصلي يحمل عنوان « زوربا بين الوجودية والاعتباطية » وقبل ان يدخل الكاتب الى موضوعه شجب كل المحاولات التي تعرضت من قبل لتفسير شخصية زوربا ، وخص منهم بالذكر الاستاذ « فاضل تامر » في دراسته عن زوربا (الآداب سنة ١٩٦٥) لانه قال أن زوربا هو « صراع بين الحسي والتجريدي » وهذا في رأي كاتبنا خطأ شنيع لا يغتفر ، وفرض على الرواية من خارجها بمقاييس عقلية . والاحتكام الى « العقل » في رأي الاستاذ الموصلي « مرض » (هكذا يقول !) « وكأنما لم يقهر حدس برجسون ولا وجدان لاشبنجلر »!!. والاستاذ تامر في رأيه أيضا لانه حاول من وحي « انتمائه » أن يفرض على تجربة زوربا « التي أساسها الحرية والحرية الاعتباطية خاصة » مقياسه الخاص .

وعلى الرغم من هذه المقدمة الغريبة دخل الاستاذ الموصلي الى صميم موضوعه ، فأخذ يطبق على رواية زوربا مفهومات كثيرة اقتبسها من ثقافته الموسوعية التي حاول أن يستعرضها استعراضا كاملا في صفحات ثلاث . فمن هيدجر الى سارتر الى كارل ياسبرز الى اشبنجلر الى نيتشه الى كيركجارد الى هيجل الى كولن ولسن الى ريلكه الى رامبو الى جيته الى اخر السلسلة الطويلة جدا من أسماء الاعلام في عالم الفلسفة والادب والفن . ومن حق الاستاذ الموصلي أن يستمتع بهذا العالم الواسع الحاشد بالاسماء ، ولكن من حقنا أن نسأله فيما اظن :

ما اسم هذه المحاولة التي قام بها لتفسير « زوربا اليوناني » ؟ أليست هذه أيضا محاولة لفرض مفهومات خارجية عليه ؟ وما وسيلتك في ذلك أليست هي العقل أيضا ؟! كيف يكون العقل « مرضا » اذن ـ اذا تصورنا أن الاستاذ الموصلي يخرج نفسه منه وهذا منطقي بالطبع ؟! لقد حاول كاتبنا أن يطبق بعض المفهومات الوجودية الخالصة ـ بشكل متعسف في أحيان كثيرة ـ على شخصية زوربا . حاول أن يتحدث عن « السقوط الهيدجري » ، « والحرية هي الرعب » و « الموت الوجودي » .. الخ وضاعت شخصية زوربا الحقيقية وسط هذه المتاهة اللفظية والتطبيق الآلي لبعض المقولات الوجودية . والغريب أنه بعد ذلك كله حاول أن يقيم تشابها بين « فاوست » جيته وزوربا « كازانتزاكي » . محاولا أن يتصور أن بحث فاوست عن « المعرفة » دافعا روحه نفسها ثمنا لها هو من نفس طبيعة « زوربا » الذي « لا يسعى لهدف يحققه ولا لغاية يطلبها » . بل هو يرى بينهما تشابها ابعد في موقفهما من الكتب ومقدار توصيلها الى الحقيقة ! وهو يرى أن موقفهما واحد . ولا أعرف كيف يمكن أن نسوي بين شخصية لم تعد تكفيها المعرفة التي بلغتها من الكتب فهي تريد معرفة أبعد وأعمق .. تريد الوصول الى احتضان المعرفة الكاملة أن صح هذا التعبير ، وشخصية اخرى مختلفة في طبيعتها فوضوية وعدمية في جوهرها ....

وبعد فلقد قال الاستاذ الموصلي أن زوربا كان رجلا « موجودا اكثر مما يجب ، ويحس بوجوده اكثر مما يحتاج » ، ولعلنا نستطيع أن نقول أن الاستاذ الموصلي نفسه مثقف أكثر مما يجب ، ويحس بثقافته اكثر مما يحتاج .. اكثر مما يحتاج زوربا على الاقل !

القاهرة — **امير اسكندر**

القاضي الجرجاني

الأديب الناقد

بقلم

الدكتور محمود السمرة

هذه دراسة عن أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني المشهور بالقاضي الجرجاني :

- تربط بين الرجل وعصره ربط تفسير وتحليل وتعليل .
- وتجلو آراءه النقدية وتبين مدى اصالتها .
- وتعقد صلة بين هذه الآراء ومثيلاتها في النقد الادبي في الغرب
- وتنقل مفهوم الادب من حدوده الضيقة الى آفاق الفن الفسيحة
- وتفتح للنقد نوافذ جديدة تكسب ادبنا صحة وعافية وتجددا .

منشورات

المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع

الثمن : ٤٠٠ ق.ل أو ما يعادله

القصائد

بقلم شوقي خميس

***

واقع وقضية ايضا :

ثلاث من قصائد العدد الماضي تحدثنا عن ماساة فلسطين ، وتتناول المأساة من زاوية عاطفية . ولا شك في صدق العاطفة التي حركت شعراءنا الثلاثة ، ولكن السؤال الذي يجب ان نثيره هنا : هل يكفي التناول العاطفي ؟. بالقطع لا . فاذا كانت ماساة فلسطين هي بالنسبة لنا ماساة واقع ، فانها على المستوى العالمي قضية . وربما كان اعلى الاصوات في هذه القضية هو صوت الدعاية الصهيونية ، التي تعطي للراي العام العالمي صورة محكمة التزييف تخفي حقيقة ما جرى وما يجري في فلسطين . لذلك يجب على الشعراء العرب الاتجاه ، لا الى مخاطبة الشعوب العربية بقصائدهم فحسب ، واما مخاطبة شعوب العالم كافة لتحريك الضمير العالمي ازاء ما حدث ويحدث في بلادنا الان . ويجب على الشعراء العرب ، ما داموا يكتبون عن فلسطين ، وهي قضية لها جانبها السياسي ، ان يعوا سياسيا انه لا سبيل الى حل اي مشكلة انسانية من مشاكل عصرنا الا في اطار الراي العام العالمي الذي اثبتت التجربة اهميته في الوقوف الى جانب الشعوب المناضلة من اجل الحصول على حريتها واستعادة سلطانها على ارضها .

من يكتب عن فلسطين اذن ، لا يكتب للعرب فقط ، انما يكتب للعالم . ومن يكتب عن فلسطين يجب الا يتجاهل الجانب الايديولوجي في القضية ، ولا ينسى انها قضية بالاضافة الى كونها واقعا من وجهة نظرنا ، واقع وحقيقة يمكن أن يشوههما الاخرون .

ولكن ما هي الحقيقة ؟ انها ببساطة ما حدث وما يحدث . وفي اعتقادي انه لا مكان للخيال في التعبير عن هذه الحقيقة لانها أضخم وأبشع واقسى من أي خيال . هل يكتب الشعراء تقريرات اذن ؟ فليكن ، وان ذلك ليكون اصدق واكثر تاثيرا بكثير مما يكتبونه الان . نريد تقريرات ومزيدا من التقريرات في اطار فني ذكي . وهذا أقل الايمان .

في قصيدة الشاعر محمود درويش بكاء وصورة باهتة للواقع في الارض المحتلة وعاطفة حب ليست في مكانها الصحيح . كيف يمكن لنا ان نتصور شبابيك الحب هذه المفتحة امام عيني الاسير المنصبة على عرس الطغاة ومرثاة الام الحزينة ؟ ان اصدق المقاطع في قصيدة الشاعر محمود درويش هو المقطع الثالث بعنوان « الخد - شدوا وثاقي . وامنعوا عني الدفاتر والسجائر - وضعوا التراب على فمي .. سأقولها .. » . هذا وان أضعفه أفحام رأيه في الشعر (الشعر دم القلب .. الخ) على هذه اللحظة الرهيبة . ولم يكن الشاعر يحتاج الى استعارة رمز « أوليس » واستخدامه استخداما خاطئا في المقطع الثاني . اننا نتساءل دوما - بالنسبة للرمز - عن أهميته تجاه أي عمل فني ما لم يكن قادرا على اثراء احساسنا بالواقع . والسؤال الضمني الذي يتوقف عليه نجاح القصيدة لدى القارىء هو (ماذا أضافت لي هذه القصيدة ؟) وهو سؤال يؤكد حق القارىء ازاء الفنان . واعتقد ان قصيدة الشاعر محمود درويش لم تضف كثيرا الى احساسنا نحن العرب بقضية فلسطين ، فما بالنا بالقارىء العالمي . وربما كانت قصيدة « المشرد والحصاد » للشاعر خالد ابو خالد هي انجح القصائد من ناحية قدرتها على اضافة شيء الى احساسنا بالقضية . ولعل ذلك يرجع الى التقاط الشاعر للحظات التوهج في حياة المواطن الفلسطيني العادي حين يعبر عنها بشعر الناس المتميز بالبساطة والتلقائية على لسان الحادي والحصادين . وان يكن قد اضعف كثيرا من القصيدة خلط هذا التوهج التلقائي بعصابيات الانسان المعاصر على لسان ما سماه (صوت الصمت) ، مما ادى الى اهتزاز الشكل العام للقصيدة وتقليل قدرتها على اعطاء تأثير كلي واضح مركز .

واما القصيدة الثالثة للشاعر محمد عز الدين المناصرة فاقل ما يقال عنها انها قصيدة مصنوعة . ركام من الصور بلا معنى وقواف منحوتة في الذهن بلا حرارة مثل (الحب الشجري والدفء الشتوي والجزر البري والسمك النيساني) ، ونهاية ضعيفة (ولكنا نسينا..) توحي بأنها تضع على عاتقنا مسؤولية ما حدث . ولكن ما حدث للاسف غائب عن القصيدة لان الشاعر اراد ان يكتب قصيدة عن فلسطين فتاه في تفاصيل رؤيا تفتقر الى الوضوح واراد أن يمسك ما أفلت منه عبثا في نهاية القصيدة .

الكلمات .

قصيدة للاستاذ علي سعد ، وان شئنا الدقة فهي افتتاحيه لقصيدة لم تكتمل . انها دعاء مطلق من الشاعر ان تصبح كلماته نقية وحيية وبسيطة ... الخ . ومن قديم فعل الشعراء وقالوا مثلما فعله وقاله الشاعر علي سعد ، مثل هزيودوس . والغريب أن يتكرر النداء بنفس البساطة من شاعر معاصر دون أن يتأثر بالتاريخ الشعوري والحضاري والاسطوري للكلمات ، وابعادها العصرية ، كحقيقة فيسيولوجية واجتماعية ، وكمأساة وكأمل في الخلاص .

عذراء الصمت والصمت .

ابتداء من العنوان كالعادة ، يصدم القارىء بطريقة الشاعر محمد عفيفي مطر في التعبير . فاذا ما تجاوزنا العنوان ودخلنا في عالمه الغامض المحير ، فيغلب الا نخرج بشيء اكثر من الاعتراف بقدرة الشاعر الفائقة على توليد الصور والتحكم في الكلمات أو الالفاظ ، كما يقرر الاستاذ الدكتور عبد القادر القط في العدد الماضي في نقده لقصيدة من قصائد الشاعر . ولكن الغموض في اعتقادنا ينشأ من خطأ استخدام المقياس النقدي الواقعي في اكتشاف عالم الشاعر . ان مقارنة تجارب محمد عفيفي مطر بالواقع ، بأي واقع اجتماعي أو انساني عام لن تؤدي الا الى مزيد من الغموض لان قصائد الشاعر مثل هذه القصيدة ، انما تصور تجارب شديدة الذاتية ، تجارب فردية جدا . أما صورة الواقع المتبدية في القصيدة ، فما هي الا رمز يشابه في تعقيده تعقيد تجربة الشاعر الخاصة . القصيدة تموج بجو شبيه بجو الحلم الذي يتخذ من معطيات الواقع الخارجي رموزا ذاتية موظفة توظيفا خاصا جدا ، ولكن حلم شاعرنا يحمل افكار - أو بعض أفكار - العصر ، مثل فكرة البراءة المفقودة التي أشاعها اليوت ، ومثل فكرة العقم التي أفلح لوركا في تحويلها الى رمز اجتماعي . ولعل الشاعر يحاول ان يحيل حلمه الخاص الى رمز اجتماعي أيضا . ولكنه سيظل رمزا معبرا عن نوع من اللامنتمي ما دام محصورا في ذاته ، وما دامت نظرته للاشياء الخارجية نظرة نفعية لا يكتسب فيها الخارج الموضوعي أي قدر من الاهمية الا بالقدر الذي يصلح له كمعبر عن جموح هذه الذات وحدتها وتوحشها . ولا نحسب ان ذلك يقلل من اهمية قصائد محمد عفيفي مطر كتعبير كاشف عن حالة خاصة من أحوال النفس الانسانية . ولكن هذه العذراء الوحيدة في قصيدته ، ستظل ممتلئة بكنوزها التي لم تمس ، وبجوعها للاخصاب ، تحيا وتموت بأوصافها الفنائية البالغة العذوبة في مخيلة الكثيرين من القراء ، لانها تحمل بجدارة روح الشعر .

ما قالته الليلة الماضية .

حديث الى النفس ، تسوقه الينا قصيدة الشاعر محمد مهران السيد ، بموسيقاها الهامسة وحزنها العميق . الشاعر في الظاهر يحادث ابنه ، ولكن في نهاية القصيدة يتضح ان هذا الابن ما هو الا روح الشعر في الشاعر ، روح الشعر التي يعطلها الحرمان الكامل من أسباب الامن . انها مشكلة كل شاعر في زماننا الذي لم يعد الناس فيه يهتمون كثيرا بالشعر . احساسه بانه ثانوي ومرفوض . فماذا يملك تجاه مثل هذا العالم ؟ الانسحاب أم التشبث ؟ يكتشف الشاعر محمد مهران السيد ، ان روح الشعر مرتبطة بالقوة والشجاعة ، في نفس الوقت الذي يفتقر فيه الشاعر الى القوة والشجاعة تجاه عالم يرفضه ويظن انه من الكماليات . ولكن في النهاية ، ماذا يملك أن يفعل سوى أن يستميت في الدفاع عن قدره المختار وان يتشبث .. « لا تفلت من يدك الشعر ! » .

القاهرة

شوقي خميس

القصص

بقلم سمير فريد

***

يعد فن القصة بين فنون الكلمة اكثرها حرية في التعبير عن الكاتب ، فالكلمة في القصة شبيهة بالصلصال بين اصابع جياكومتي ، والمرء يقرأ القصص دون شكل مسبق يفترضه فيها ، فلا التزام بفصول المسرحية او عروض الشعر ، ان الكلمة في القصة حقا لهي حرية تمتد من الكاتب الى المتلقي .

واذا كان التاليف الموسيقي يفرض معرفة النوتة الموسيقية فان كتابة القصة لا تتطلب الا معرفة الكتابة ، واعني بالطبع ن انتاج القصة العمل الفني امر ميسور ، وانما اريد ان اسهم في تفسير التناقض بين عدد القصص الضخم في التراث الادبي الانساني وبين العدد البسيط من القصص العظيمة التي بقيت دون غيرها .

وفي تقديري أن هذه الحرية الهائلة للكلمة في القصة ، وتلك القدرة العادية التي تتطلبها كتابة قصة ـ القدرة على الكتابة ـ هما مصدر ضخامة عدد القصص ومصدر بقاء عدد قليل منها في وقت معا ، فعلى قدر الحرية في العمل الفني تتسع مسؤولية الفنان ، اذ يكون عليه ان يسيطر على مادته ويعثر على الشكل الملائم لتعبيره في خضم الحرية المعطاة من قبل فنه ، ان عليه اقتناص حريته وتحقيقها في شكل ليس من عناصره ما هو جاهز او معد سلفا .

والقصة كما نعلم هي الشكل الفني الذي تمخضت عنه الحكاية والاسطورة كما عرفتها الاداب القديمة ، ونستطيع ان نقول ان الملحمة القديمة كانت نبع الفن الروائي ايضا ، فالادب القصصي ليس من ابتداع القرن التاسع عشر اذن كما يبدو للوهلة الاولى . وانما يمكننا القول بان هذا القرن قد منحه شكلا جديدا باستخدام النثر وبفضل ذاتية فنانيه وما تبع هذا من سيطرة اكثر احكاما على المادة القصصية المبعثرة على قارعة الطريق .

وقد عرفت اللغة العربية القصة كما عرفتها اللغات الاخرى في ادبها القديم ، ثم تعرفت عليها في شكلها الجديد مع بداية اتصالنا بالاداب الاوروبية في العصر الحديث ، واليوم نجد ان تراثنا روائنا له قيمته الفنية والفكرية الكبيرة ياخذ مكانه في اللغة العربية ودونه بدرجات قصيرة نجد القصة القصيرة .

وبين الحين والحين يثار في القاهرة ما يسمى بازمة القصة القصيرة ، وهناك بالفعل ازمة ، ولكن هذه الازمة ليست في عدد كتاب القصة القصيرة كما يذهب البعض ، فهم كثيرون الى درجة مريبة . كما انها ليست ازمة نشر كما يذهب البعض الاخر ، فالقصص تنشر بكثرة وفي كل مكان ، وانما هي ازمة القصة القصيرة الجيدة .

وفي العدد الماضي من الاداب خمس قصص قصيرة .. « الزعيم » لزهير الشايب ، « الوحوش يجتاحون بلدتنا » لشاكر خصباك ، « جرذ الليل » لنايف شرف الدين « الستـرة الخضراء » لمحمد منسي ، و « الجبل العالي والسهل المنبسط » لديزي الامير ، ولعل نقدنا لهذه القصص يكون بحثا عن القصة الجيدة بقدر ما يكون بحثا عن اسباب هذه الجودة المفقودة .

فالقصة الجيدة لا يبحث عنها ، ولكنها توجد ، وهي لا توجد في الفراغ وانما بين القصص الاخرى على مختلف مستوياتها .

وباستثناء قصة ديزي الامير تنزع القصص الاخرى نحو الواقعية، اما في قصة ديزي لامير فنجد نزعة صوفية شديدة السطحية على الرغم من الحساسية المرهفة التي تميز اسلوبها ، فالقصة تبدأ بالهروب من « العالم اليومي المتعب » او بالاحرى محاولة الهروب منه ، وتنتهي ببطلة القصة وهي في الكنيسة تصلي للعذراء ثم بقولها ان « لا نعمة تعادل الايمان » ، اما لماذا كان العالم اليومي متعبا ولماذا كان الايمان نعمة لا تعادلها نعمة فهذا ما يسرد علينا بالكلمات التي تبقى على العين دون نفاذ الى العقل او الوجدان ، وان كان ابداع ديزي الامير قد اقتصر على تعبير « الجبل العالي والسهل المنبسط » ومحاولة التلاعب بالتناقض بينهما لتعميق تجربة فقيرة .

اما قصة « جرذ الليل » لنايف شرف الدين فهي لا تستحق ان توصف بالقصة الا احتراما للمجلة الكبيرة التي نشرتها واعتبرتها كذلك ان الدافع الى الابداع القصصي عندما يكون منطلقه القدرة على الكتابة ووجود الورق والرغبة في القص فهذا لا يكون دافعا الى الابداع وانما الى أشياء اخرى ربما كانت التنفيس عن مكبوتات تسعى للخروج عن صاحبها ، ولكن هذا التنفيس عندما يخرجه كاتبه على الاخرين يكون مسؤولا ، يكون عليه ان يبرر انه لا يعبث بالمتلقي وانما يقدم اليه عملا فنيا يملك القابلية على ان يكون فاشلا على اقل تقدير .

السيد نايف شرف الدين ليس لديه ما يقوله في هذه القصة ، واني على ثقة من ان قارئها قد توصل الى ذلك بغير حاجة الى ناقد ، اما من لم يفعل فاليه القصة .

محمود يجلس في مقهى يحتسي الليمون ، يتذكر بالعودة المتقطعة الى الماضي لقاءه مع ليلى ومطاردتها ثم حصوله على موعد منها هو ما نحن بصدده منذ بداية القصة ، وقد كذب عليها لتحضر ، قال لها ان لديه رسالة اليها « من بلدها البعيد » ، ولعل لا منطقية الكذبة هي اولى خيوط ما يريد السيد نايف الافصاح عنه ، فهو يعيش « بصخب ومجون، خمر ونساء وسهر ، ذلك هو بطله محمود الذي تسعى اليه النساء » « سعي النمل الى حبيبات السكر » ، وبينما هو جالس في انتظار ليلى يرى من بين ما يرى عاهرة تحدد لصاحبها بالرسم على الكريمة مبلغ ٢٥ دينارا .

ويكون محمود قد قرر ان تكون ليلى مستقره ومصيره ولكنها تاتي فتحدد له ٥٠ دينارا على الكريمة ، فهي بدورها تباع وتشترى .

وبعد يا سيد نايف ، ماذا تريد ان تقول ؟ ، ما الذي عمقته فينا او ايقظته ؟ بل ما الذي جنيناه كقراء حتى تطالعنا بهذا التنفيس المراهق عن رغباتك وافكارك المطلقة المضحلة عن المرأة ؟ ان ما يبقى لنا من قصتك تلك النكتة التي هي تنفيس على مستوى اخر ، مستوى الثقافة « ثلاث دقائق بقيت لحضورك ، انى احسها وكانها الثلاثة قرون التي سبقت عصر النهضة » » انه تشبيه لا يعادله سخافة الا من قال « عندما اراك اشعر اني على خط الاستواء » فصارت نكتة تضحك منها وعلى صاحبها.

وفي النتاج الجديد تنشر الاداب ربما للمرة الاولى قصة « السترة الخضراء » لمحمد منسي ولعل اقتصار هذا الباب على عرض الكتب الجديدة هو المنهج الصحيح الذي اتبعه طويلا فكل قصص العدد واشعاره هي نتاج جديد ، نقول هذا خشية ان يتحول الباب الى سلة المهملات القصة ، (*) وهو الامر الذي يتضح من نشر عمل كهذا لا قيمة له اطلاقا ولا يختلف عن قصة السيد نايف المبالغة الا في ان صاحبها لم يتمكن بعد من التنفيس عن رغباته في قالب محكم من الصنعة الفارغة .

واذا وصلنا لقصة شاكر خصباك « الوحوش يجتاحون بلدتنا » قرانا قصة جيدة الاسلوب ، محكمة البناء ، لا يعيبها الا ضعف التجربة

(*) تعليق الاداب : لا شك ان الامر قد التبس على الناقد . فكلمة « النتاج الجديد » لا تنسحب الا على نقد الكتب . اما ما دون ذلك، فهو من المادة العامة في المجلة ، اجاءت قبل هذا الباب ام بعده ...
(التحرير)

التي اراد الكاتب التعبير عنها ، فالقصة في بدايتها تسجل بدقة اقرب الى الطبيعية البلدة التي تدور فيها احداثها من الصباح الى المساء ، ومع هجوم الوحوش ، وهم تعبير عن الغزاة المستعمرين تبدأ الاحداث ، فالناس بادىء ذي بدء يلتزمون الصمت ، ولكن الصمت لا يجدي ، ويتبدى ذلك بوضوح عندما يقتل الوحوش ابن عباس الخباز مقتلـــة « كافكاوية » اصيلة ، ويجن الخباز او يكاد ويكون « ناقوس الانذار الذي دق ليعلـن لابناء بلدتنا ما يجري في البيت فوق التـــل » حيث معقـــل الوحوش ومعتقلهم .

وقد حاول الكاتب اضفاء طابع رمزي على وحوشه ، فان كان قــد فعل حقا فقد فشل ودل على ضعف تجربته رغم جمال اسلوبه .

واخيرا فهناك قصة زهير الشايب « الزعيم » وهـي افضل قصص العدد الماضي من الاداب على ما فيها من مآخذ .

تعود بنا القصة الى الوراء ، عندما كانت المناورات الحزبية هـي جوهر الحياة السياسية في مصر قبل ثورة يوليو ، فبطل القصة فهمي كان صديقا لاحد الزعماء الحزبيين ، وهو زعيم « مخلص لوطنه ، هـذا امر لا يختلف فيه اثنان » ، وقد مات الزعيم منذ عام وهــا هـو فهمي يتوجه الى حفل اقيم في ذكراه ، وفي يد فهمي الوثيقة التي تدين الزعيم الراحل وتثبت تعامله مع المستعمرين ، ويتذكر بطل القصة كيف التقـى بالزعيم وكيف تطورت علاقته به ، ثـم يتذكر نفسه « مديـرا لارشيف الاشغال » ، « بينما قيادة الوطن قد آلت لايدي حفنة نالت مـن لسانه كل هجوم » .

ويتردد فهمي طويلا في اعلان ما لديــه ، وينتهي تردده بفشله اذ يغمى عليه ، والكاتب بهذا يدين الزعيم وتابعه معا ، يدين بطله وزعيمـه والارضية الاجتماعية التي يقف عليها باسرها ، ولكن مقابل هـذا الوعي السياسي المستنير الممتزج بقدرة متواضعة على التحليل النفسي والمتابعة المتأنية لتطور الحدث في بناء قوى متماسك نجد ان القصة تقع فـي عبارات تقريرية ليست من عبارات القصص في شيء مثل « ثمة حالـة يختلط فيها الوعي باللاوعي ، يكتشف المرء فيها ان انسانا آليا يكمن في اعماقه يبادر بالاستجابة المناسبة في الوقت المناسب ، فها هـو بالفعل قد ارتدى ملابسه ... » !

***

على الهامش وفي الصميم

نعم على الهامش لان هذا مقال نقد قصص العدد الماضي ، ولكن في الصميم لاننا نتحدث عن ناقد عرفته الاداب وعرفه كل محب للاداب .

الدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة

كنت على صواب حين تذكرت اخاك انور المعدادي ومنحته جائـزة الدولة التشجيعية هذا العام ، لقد تذكرته فكنت ذاكره في ذكراه يـوم السابع من ديسمبر ، وكان قد مر عام على وداعه لنا ، وكنا كاننا قـد نسيناه ، تلاميذ واصدقاء وادباء ، لم يتذكره احـد فكان وحيدا كمـا عاش وحيدا .

وسيظل ابدا شاهدا علينا ، وقد شاءت الاقدار ان يكون شاهـدا على عصرنا ايضا ، فقبله بايام مات صحفي مـن الذيـن عاشوا يعبثون بالكلمات على موائد القمار وصفحات الجرائد ، وقد كتب علينا ان نرى صوره تزين الاحاديث الطويلة عنه في الصحف كل عام بينما انت وحيـد تعاني سخافاتنا . هو الذي عاش يعبث بالكلمات وانت الـذي سقطت شهيدا من اجلها وها نحن نطلب منك الرحمة ميتا كما طلبها الجميع منـك حيا ، فانت هي ابدا وان نسيناك لعبثنا .

القاهرة — **سمير فريد**

صدر حديثا :

عن دار صادر ـ بيروت

سعر ق . ل .

١ ـ ادب الكاتب لابن قتيبة ١٥٠٠

عن طبعة ليدن

٢ ـ قصص المانية حديثة ٣٠٠

٣ ـ الفن الاسلامي ٦٠٠

٤ ـ رسالة التوابع والزوابع ٤٠٠

لابـن شهيد الاندلسي

٥ ـ تاج العروس عشرة مجلدات ٢٥٠٠٠

للمرتضى الزبيـدي

٦ ـ ديوان لبيد بن ربيعة العامري ٥٠٠

٧ ـ نقائض جرير والفرزدق

٣ مجلدات ٧٥٠٠

عن طبعة ليدن

تطلب هـذه الكتب

من دار صادر بيروت ـ ص . ب ١٠

تلفون : ٢٣٠٤٨٠